



مختصر خطبة صلاة الجمعة 2025/1/3 للشيخ الطيب محمد خير الشعال، في جامع أنس بن مالك، دمشق - المالكي

(سنة الله تعالى في التمكين لعباده)

قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور: 55].

فأسباب التمكين في الأرض كما تقول الآية ثلاثة:

أولها: الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء والقدر خير وشهره كل من عند الله ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ﴾: الإيمان الذي يبعث في المؤمن الرغبة للعمل النافع والرغبة من العمل الضار، الإيمان الذي يجعل صاحبه طاهراً لا ينجس؛ طاهر اليد والفم والفرج والبطن واللسان، طاهر العقيدة والشريعة والأخلاق، الإيمان الذي يمد المؤمن بالثبات أمام الفتن وبالصمود في مواجهة الباطل، الإيمان الذي يورث المؤمن سعادة الدنيا والآخرة. ومن دون الإيمان يغرق الناس في وحل الشهوات والجهالات، ويستعبد القوي الضعيف، ويبطش الغني بالفقير، ويعم الفساد البر والبحر.

ثانيها: العمل الصالح ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾: فإذا رسخ الإيمان في القلب وحلت الهداية في النفس نشطت الجوارح إلى الصالحات، والصالحات من الولاية: العدل في الرعية، والحكم بينهم بالسوية، وبذل الشفقة لهم، ومعاملتهم بالأخلاق الرضية، والصالحات من الخاصة: الشورى بينهم لجلب المصالح لأهل البلد، والتناصح بينهم لدرء المفاسد عن كل أحد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والصالحات من العامة: السمع والطاعة بالمعروف، والسعي لتحصيل العلم النافع والعمل الصالح، والتعاون على البر والتقوى، وترك الإثم والعدوان.

وثالثها الأخير: عبادة الله بإخلاص دون شرك أو رياء: ﴿يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ [النور: 55] قال ابن عاشور في تفسيره: (جملة: يعبدونني حال من ضمائر الغيبة المتقدمة، أي هذا الوعد جرى في حال عبادتهم إياي، وفي هذه الحال إيدان بأن ذلك الوعد جزاء لهم، أي وعدتهم هذا الوعد الشامل لهم والباقي في خلقهم لأنهم يعبدونني عبادة خالصة عن الإشراك، وعبر بالمضارع - يعبدونني - لإفادة استمرارهم على ذلك تعريضاً بالمنافقين إذ كانوا يؤمنون ثم ينقلبون).

أخرج البخاري ومسلم عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: «كنت رَدَفَ رسول الله صلى الله عليه وسلم، ليس بيني وبينه إلا مؤخرة الرَّحْلِ، قال: «يا معاذُ بنَ جبل»، قلتُ: لبيك يا رسول الله وسعديك، ثم سار ساعة، ثم قال: «يا معاذُ بنَ جبل»، قلتُ: لبيك يا رسول الله وسعديك، قال: «هل تدري ما حقُّ الله على العباد؟» قال: قلتُ: الله ورسوله أعلم، قال: «فإن حقَّ الله على العباد: أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً»، ثم سار ساعة، ثم قال: «يا معاذُ بنَ جبل»، قلتُ: لبيك يا رسول الله وسعديك، قال: «هل تدري ما حقُّ العباد على الله إذا فعلوا ذلك؟» قلتُ: الله ورسوله أعلم، قال: «حقُّ العباد على الله: ألا يعذبهم».

والعبادة المرادة العبادة بالمعنى العام أي: إقامة أمر الله ونهيه في كل عمل يعمله الإنسان لعمارة الدنيا أو الآخرة.

والحمد لله رب العالمين